مرحلة ما بعد النصر

بقلم؛ أبي سعد العاملي

الحمد لله رب العالمين، قاصم الجبارين وناصر المستضعفين، القائل: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد المجاهدين القائل: (... واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً).

الذي دفعني إلى الكتابة عن النصر وعن مرحلة ما بعد النصر، وكذلك عن شروط تحقيقه والأسباب التي تعصف به لتجعله في عالم النسيان والزوال، هو ما حققه الجهاد الإسلامي في أفغانستان من نصر وتمكين على أيدي طالبان، وما يحققه الإخوة المجاهدون في الشيشان ثم ما يقوم به الإخوة في الجزائر من إثخان في أعداء الله ومن تقدم واقتراب من النصر يوماً بعد يوم، وكذلك ما تحققه حركة الجهاد من تقدم في كل من كشمير والفلبين وأندونيسا وإرتريا وباقي مواقع الرباط. فحديثنا هنا سيكون عبارة عن نصيحة أو لنقل تذكيرا للحركة المجاهدة في كل مكان، خاصة الإخوة في طالبان المسلمة.

وقبل الحديث عن الحركة الإسلامية في مرحلة ما بعد النصر أو ما بعد التمكين، نود أن نشير إلى أن ما حققته حركة طالبان في أفغانستان من نصر وتمكين للمشروع الإسلامي، إنما كان نتاج سنين من التضحيات والجهاد المستمر، بالإضافة إلى القدوة العالية لقياداتها ونزولها إلى الساحة تعيش الآلام وتقدم التضحيات إلى جانب الشعب المسلم، تعاني الجوع والفاقة، وتقدم خيرة أبنائها شهداء بسبب غدر المنافقين وحقد الكفار الملحدين.

وبالرغم من تحالف الأعداء في الداخل والخارج على ضرب هذه الحركة الفتية المؤمنة الصادقة، وبالرغم من قلة النصير والزاد والعتاد، استطاعت الحركة أن تحرز انتصارات ساحقة على أعدائها وتسيطر بذلك على جل التراب الأفغاني وتحارب الفساد والجريمة وتزرع الأمن والطمأنينة في البلاد، كما سارعت إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على نطاق واسع من البلاد وفي شتى مجالات الحياة.

فالزمرة المؤمنة لابد أن تحقق صفات الإيمان والتقوى والتوكل على الله تعالى والتجرد له تجرداً كلياً، واعتبار أن النصر وسيلة لعبادة الله والتقرب إليه قصد نيل رضاه، ويمكننا جمع هذه الصفات كلها في كلمة واحدة هي "نصر الله"، كما يقول عز وجل: {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}، ونصر الله معناه تحقيق صفات الإسلام في ذواتنا والسير وفق شرع الله تعالى في كل حركة وسكنة.

كما نود تسجيل ثمة حقيقة جوهرية تبين الوقت الذي يجيء فيه النصر والحالة النفسية التي يكون عليها جند الله قبيل تحصيل النصر، نقرأ هذه الحقيقة في قوله تعالى: {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا، فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين}، فانتصار الحق يفاجئ الجميع حتى المنتصر نفسه، وربما ليضيف إلى نشوة النصر نشوة أخرى إضافية ولتكون بالنسبة للمغلوب كالصاعقة تقصم ظهره وتهدم آماله وكل طموحاته، ولا يترك له فرصة لأخذ الحذر أو الاستعداد للصدمة المرتقبة، حكمة الله البالغة {إنه هو العزيز الحكيم}.

بعد هذا المدخل القصير، نتساءل ونقول...

ما هو المطلوب من المنتصر حتى يحافظ على انتصاره؟

إن المحافظة على النصر أعظم قيمة وأصعب إنجاز من تحقيق النصر نفسه، لأن العراقيل والصعاب تظهر تترا في طريق هذا النصر، ويحاول الأعداء بكل ما يملكون من وسائل الكيد والمكر، إحباط هذا الإنجاز العظيم الذي حققه المسلمون، ولاشك أن العراقيل ستأتي من الداخل والخارج على السواء، ولا ينبغي أن نتصور بأن المجتمع سيكون خاضعاً للطليعة المجاهدة كالخاتم في اليد تديره كيف تشاء، بل سيكون هناك طوابير النفاق والشرك وأصحاب الإيمان الضعيف والمثبطون، وكلهم سيشكلون جبهة داخلية لمحاربة المشروع الإسلامي ولإقصاء الطليعة المجاهدة من الساحة السياسية وليس فقط من على كرسي الحكم.

من بين الأمور التي يجب توفيرها والتسلح بها في هذا المجال، ما يلي:

أولا:

المحافظة على الصفات الإيمانية وتقويتها، وتوثيق الصلة الروحية بالله عز وجل - الذي هو صاحب النصر الحقيقي - {وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم}، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في سورة النصر {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً} فالمؤمن لا يمكن أن يحقق شيئاً في هذا الوجود إلا بإرادة الله تعالى وتوفيقه {لله الأمر من قبل ومن بعد}، والتقرب إليه سبحانه بالعبادة والطاعة يعني ضمان التدخل الإلهي إلى جانب عباده المؤمنين وحفظه لهم، وبأنه سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده، لا يمكن لأية قوة أن تصمد في وجه إرادته ولا أن تغير مشيئته.

ثانيا:

التحلي بالتواضع الجم بدل الإحساس بالغرور والخيلاء والتكبر، وهي صفات إبليسية ذميمة يحاول الشيطان الرجيم زرعها في نفس المنتصر حتى ينقلب على نفسه ويهدم ما أنجزه بيده، لأن الطموح والتقدم في الإنجاز الجيد يكسره شيئان: اليأس والغرور، فاليأس يصيب المنهزم فلا يقدر على مواصلة الصراع مع عدوه فيستسلم للفشل وتخور عزيمته فيفترسه عدوه كيفما يشاء، وأما الغرور فيصيب المنتصر، فيغتر ويحسب نفسه الأقوى والأكفأ، فلا يواصل تقوية نفسه وإمكاناته أو تطوير أساليبه، ويدفعه هذا الشعور بالتالي إلى الاستهانة واستصغار شأن عدوه الذي يستغل هذه الثغرة لرد الصاع صاعين.

ثالثاً:

التسلح بالصبر على مواجهة الصعاب، وامتلاك النفس الطويل، وتمالك النفس أما الاستفزازات المتنوعة من قبل الأعداء والمغرضين، ومحاولة معالجة المشاكل المطروحة بالحكمة القرآنية، بحيث أنه يجب تصنيف الفئات المعوقة للمشروع الإسلامي كل واحدة على حدة، ومعاقبتها وفق ما تستحقه حتى تتجنب الطليعة المجاهدة الوقوع في الظلم أو التساهل في تطبيق الشرع، أو بعبارة أدق: تجنب الوقوع في الإفراط والتفريط في التعامل مع الفئات سالفة الذكر.

رابعاً:

النجاح في تنفيذ وتحقيق كل الوعود والتعهدات المادية والمعنوية للشعب - قدر المستطاع - وتخصيص أموال من عائدات الزكاة مثلاً للمؤلفة قلوبهم في بداية الأمر حتى يتجنب المشروع الإسلامي كيدهم ومكرهم، وحتى لا تستاء الجماهير من الطرح الإسلامي خاصة وأنها - أي الجماهير - لن تستطيع أن تتفهم وضعية الطليعة الصعبة التي وجدت نفسها فيها، بمجرد الحصول على النصر الظاهري والتمكين في الأرض.

وهذا ريثما تتجذر في نفوس الشعب عقيدة احتمال الضرر والرضا بما عند الله عز وجل والتعلق بوعوده الأخروية بدل التعلق بالدنيا وأوساخها.

خامساً:

السير في تطبيق الشريعة الإسلامية بحزم وحسم، وليس بالتدريج والتمييع حتى لا تفقد الشريعة هيبتها وتعطي ثمارها المرجوة، بدلاً من التطبيق الأعرج والأبتر، مما سيؤثر سلباً على أهداف الشريعة ومقاصدها.

سادساً:

انتظار كل أنواع المفاجئات والاستعداد التام لمواجهتها، واحتمال انقلاب قسط أكبر من الجماهير على الطليعة نظراً لطول انتظار تحقيق الوعود والتشوق إلى جني الثمار في أسرع وقت ممكن خلافاً لسنة الدعوات وطبيعتها التي تتطلب من القاعدة التضحية المتواصلة والصبر الواسع والطويل قبل اكتمال بنيات المجتمع الإيماني المنشود والموعود.

سابعاً:

الاعتماد - بعد الله تعالى - على القاعدة الصلبة التي حملت البناء وأوصلت القافلة المجاهدة إلى شاطئ النصر والتمكين، واعتبارها القلب النابض للمجتمع والحارس الأمين للمحافظة على هذا النصر، والقادرة على صد كل الهجمات الخارجية والفتن الداخلية التي تحاك وراء

كواليس الاستكبار العالمي من أجل قتل الوليد الجديد في مهده.

فمن خلال التمعن في أحداث السيرة النبوية المطهرة - غزوة أحد وغزوة حنين على سبيل المثال - وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وما أعقب ذلك من ارتداد كل القبائل العربية عن الإسلام برفضها أداء حق الزكاة للخليفة الأول الصديق رضي الله عنه، نلاحظ أن الذين ثبتوا مع الرسول في أحلك الظروف أو مع الخليفة الأول للمسلمين لمواجهة المرتدين وإرجاعهم إلى البيت الإسلامي ومنع انتشار مصيبة الارتداد هاته، هم أولئك السابقون الأولون، الذين سبقوا إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وتربوا في مدرسة الابتلاءات والمحن، وبنوا أنفسهم وقواعدهم في الوقت الذي كانت ضربات الباطل تنزل عليهم كوابل المطر، ورغم ذلك صمدوا وتجاوزوا مرحلة الاستضعاف بنجاح لا نظير له في تاريخ الدعوات كلها.

ثامناً:

استعمال الحكمة البالغة وإظهار الملكات والفعاليات المجاهدة إلى الوجود لمواجهة المستجدات على الساحة، والبروز بمظهر المسؤولية والكفاءة العالية أمام الجماهير حتى تستمر في منح ثقتها للقيادة الحاكمة، مع امتلاك القدرة على حل كل المعضلات آنياً أو مستقبلياً.

تاسعاً:

بث الدعاة والمربين وزرعهم في المجتمع لتبليغ مقاصد الشريعة وتوسيع دائرة القاعدة الصلبة التي اعتبر الأساس والضمان الوحيد لبقاء المجتمع الإسلامي قوياً وقادراً على تحدي كل التجمعات الجاهلية المناقضة والمناهضة له، ولاشك أن الطليعة الحاكمة ستملك كل وسائل الإعلام والدعاية التي تمكنها من تبليغ رسالة الإسلام على أحسن وجه، وعليها في هذا المقام أن تكثّف من البرامج التعليمية والتوعوية لاستدراك ما ضاع من الوقت ومن الفرص في هذا المضمار.

هذا فيما يخص أهم ما يمكن فعله وتحقيقه على المستوى الداخلي، وتحديداً مع الشعب الذي يمثل مادة الصراع بين الحق والباطل أو بين المشروع الإسلامي الرباني والمشروع الجاهلي الشيطاني، أما على المستوى الخارجي.

فالمطلوب من القيادة المسلمة أن تتحلى بمجموعة صفات نلخصها كالتالي:

أولاً:

الحفاظ على المبدئية وتغليبها على العوامل الأخرى، ونقصد بالمبدئية هنا، التشبث بالمبادئ وعدم التفريط فيها ولو كان ذلك على حساب فقدان المصالح المادية أو بعض الأصدقاء أو الحلفاء {وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم}.

ثانياً:

الحفاظ على الاستقلالية في تسيير الأمور الداخلية والخارجية، والحذر من السقوط في أحضان قوى الكفر العالمي المعادي والمحارب للمشروع الإسلامي، ولو أدى ذلك إلى التعرض إلى مجموعة من الضغوطات المادية والمعنوية من طرف هذه الجهات بالذات.

ثالثاً:

تسخير السياسة الخارجية وجعلها أداة لتصدير المشروع الإسلامي ومحاولة تبليغ الرسالة للعالمين عملاً بقوله تعالى {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}، ولقوله تعالى {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور}، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (الجهاد ماض إلى يوم القيامة)، والجهاد هنا ماض ومتواصل حتى بعد إقامة الدولة الإسلامية النواة، وهذا يعني جهاد كل من يستعبد الناس ويصدهم عن سبيل الله وعن اتباع الحق، ويسلبهم

حرية الاعتقاد وحرية اختيار الدين الحق، المناسب والملائم للفطرة الإنسانية التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويمجّسانه وينصرانه)، ومصداقاً لقول ربعي بن عامر لقائد الفرس قبل معركة القادسية: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

فالطليعة المجاهدة لا ينبغي لها أن تنكفئ على نفسها، فتخاف من مواجهة الطرف الآخر، بل بالعكس تماماً، فهي توجد في موقع القوة، والقوة الحقيقية هي قوة العقيدة والشعور بالاستعلاء الإيماني {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}، فالمؤمن ليس ممن يخاف على نفسه من الضياع ولا على شخصيته من الذوبان في بحر الملذات والشهوات الجاهلية البهيمية، وهذا بفضل إيمانه القوي وشخصيته المؤثرة، وما ينطبق على الفرد المؤمن ينطبق كذلك على التجمع المبدئي، الذي كلفه الله تعالى تبليغ رسالته وقيادة البشرية الضالة وإخراجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام في ظل الشريعة الربانية العادلة.

رابعاً:

السعي الجاد والمتواصل من أجل امتلاك القوة المادية أو بعبارة أدق امتلاك حق القوة، وذلك للتمكن من الدفاع عن بيضة الإسلام والتصدي لكل الهجمات المحتملة التي قد تأتي من قبل الأعداء والمتربصين بالمشروع الإسلامي الدوائر، من أجل استئصال شأفته من الوجود، مصداقاً لقوله تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}، لهذا وجب الاستعداد والتربص وأخذ الحذر، {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم}.

خامساً:

محاولة الإستفادة من القوانين والأعراف الجاهلية وتسخيرها من أجل ضرب القوى المعادية وإيقاع الفتنة فيما بينها، حتى لا تتوجه جهودهم وتتوحد لضرب التجمع الإسلامي وهو لا يزال في مهده، ومحاولة الاستفادة من القاعدة القائلة:" عدو عدوي صديقي " والسعي دوماً إلى كسب الأصدقاء في الميدان السياسي واتخاذهم درعاً واقياً من ضربات الأعداء المحتملة.

سادساً:

تسهيل الإجراءات القانونية لأبناء الأمة الإسلامية حتى يتمكنوا من الدخول إلى الوطن الإسلامي وجعله قبلة لهم في ميدان العمل الإسلامي ومحطة استراحة وتزود وإعداد بعيداً عن كيد ومكر حكوماتهم الطاغوتية، وفتح الأبواب على مصراعيها للحركات الجهادية لتنظيم أمورها وصفوفها، وعلى القيادة المسلمة أن تتبنى كل قضايا الشعوب المستضعفة والمقهورة وبخاصة المسلمة منها، وتقدم لها كل المساعدات اللازمة من أجل التحرر وجهاد حكوماتهم الطاغوتية، وبهذا ستأخذ الطليعة المجاهدة موقع الصدارة في مشروع التحرر والجهاد والحركة بالإسلام على كونه دين الحرية والكرامة والعزة للإنسان فوق هذه الأرض.

هذه بعض النقاط التي يمكننا تسجيلها في هذا المجال، على أساس أنها تعتبر نصائح وتوجيهات من مسلم غيور وحريص على أن يبقى المشروع الإسلامي مشعلاً دائم الاتقاد ينير الطريق لكل الحائرين والتائهين في هذا العالم البهيمي، وعلى أنه المرشح الوحيد للأخذ بيد هذه البشرية الضالة إلى شاطئ الأمان.

وحرصاً على تجنب أي انتكاسة للحركة الإسلامية بعدما خطت الخطوة الأولى بنجاح وتمكنت من تحقيق النصر الظاهري للطرح الإسلامي الرباني، ويبقى عليها الجهد الأكبر وهو الحفاظ على هذا النصر، وسط الألغام العديدة التي تحيط بهذا المشروع الوليد، الذي يهدد قوى البغي والطغيان ويعدها بالزوال والاندثار، كما يعد بذلك رب العزة وهو أصدق القائلين: {وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً،يعبدونني لا يشركون بي شيئاً}، وقوله عز من قائل {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما

ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله للناس الأمثال}.

{هذا بلاغ للناس ولينذروا بـه، وليعلمـوا أنمـا هـو إلـه واحد وليذكر أولوا الألباب}.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ten.esedqamla.www//:ptth
sw.dehwat.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth